ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Pleasure of Hunting in Abi Nawas's Trips

Hussein Ahmed Abbawoy

Department of Arabic Language
College of Basic Education
TELAFER University
Nineveh

Prof. Dr. Asmaa Saber Jasim

Department of Arabic Language
College of Education for Humanities
Tikrit University
Salahuddin
Iraq

Keywords:
- Pleasure
- Pain
- Dualism
- Abu Nawas

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 9 Aug 2020
Accepted 23 Aug 2020
Available Online: 22 Dec 2020
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

This research is concerned with studying the thrill of hunting in the poetry of Abu Nawas, as hunting is a social phenomenon that descended into the Abbasid era from the ages that preceded it and was not limited to the amusement of the princes and those who took them as a field for their enjoyment and sport, but remained in its utilitarian side a profession for getting living by some of the needy.

This broad activity, as a sport practiced for fun, entertainment and hobby, had a passion for successors between the Abbasid and the great people and the acquisition of its prejudices and prejudices, and its effects were evident in the Abbasid community at that time, and the people mimicked the kings and masters of all classes, civilized entertainment in a way that is more appropriate to the requirements of the people of the luxurious community and its extension.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.12.2020.05

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University

متعة الطَّرَد في رحلات أبي نواس[1]

أ.د اسماء صابر جاسم /قسم اللغة العربية /كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة تكريت

م . م حسين احمد عباوي / قسم اللغة العربية/كلية التربية الأساسية/ جامعة تلعفر

الخلاصة

يعنى هذا البحث بدراسة متعة الطَّرَد في شعر أبي نواس إذ يعد الطَّرَد أو الصيد ظاهرة اجتماعية انحدرت إلى العصر العباسي من العصور التي سبقته ولم يكن مقصوراً على تسلية أُمراء القوم وذوي الوجاهة منهم ممن اتخذوه ميداناً لمتعتهم ورياضتهم ، بل ظل في جانبه النفعي مهنة ارتـزاق لبعض المعوزين . وقد كان لهـذا النشاط الـواسع بوصفه ريـاضةً تُمارَس للمتعة والتسلية والهوايـة أن

شغف به خلفاء بني العباس وكبار القوم وباقتناء جوارحه وضواريه وبدت آثاره واضحة في المجتمع العباسي حينئذٍ وراح الناس يقلدون الملوك والسادة ، حتى استشرى وعمَّ جميع الطبقات، ليغدو أهم وسائل تزجية أوقات الفراغ ، ونوعاً من الترفيه الحضاري في صورة أكثر ملاءمة لمقتضيات حال أنس الجماعة المترفة وانبساطها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ، سيدنا محمدٍ وعلى اله الطيبين الطاهرين، وعلى من سار بهديه بإحسانٍ الى يوم الدين .

أمّا بعد ...

فقد حظيت تجربة أبي نواس الشعرية باهتمام الدارسين والنقاد إذ تلقوا شعره بحفاوة بالغة ولقي من عنايتهم مالم يلقه احدٌ من قبله من الشعراء ، ما يؤكد فرادة تجربته الابداعية ، وتميّزها بمميزات نوعية ، صنعت له صوته المختلف ، عن بقية شعراء عصره ، مشكلاً بذلك علامةً فارقةً ، في تاريخ الشعر العربي ، بحضورٍ يتحدى الزمن ، ويضعه في صدارة الشعراء الكبار ، وهنا تكمن القيمة بغياب الشخص جسداً وحضوره فكراً وقيمة.

وقد استوقفتنا في اثناء معاينة شعره ظاهرة جديرة بالاهتمام لم تأخذ نصيبها من الدراسة وهي متعة الطَّرَد التي شكلت محورا جوهريا في بناء تجربته الابداعية التي تنطلق من رؤيته الشعرية الخاصة التي عاش واقعها بقلبه ووجدانه وعقله.

ومن هنا كانت لنا وقفة بحثية على ما جاء في نصوصه الطردية من دلالات تلبي رغبة البحث بما يستدعيه من تأمل واستقصاء وتأويل تنفذ بنا الى قلب التجربة الشعرية التي يعانيها والتي تجري عبرها العملية الفنية دون أن نقف في حدود إطارها الخارجي.

وفي الختامِ نشْكُر اللهَ العظيم ، ونرجو أن يكون قد وفّقنا الى قليل أو كثير من ذلك . وما توفيقي إلّا به ، فهو وليُّ كل نعمةٍ ووراء كل قصد عليه توكلت وإليه أنيب.

النصوص والإضاءة النقدية

عكست إطلالة العصر العباسي تحولاً كبيراً في الحياة الاجتماعية إذ اتسعت فيه اسباب المتاع واللهو واللذة وتعاظم فيه شأن الصيد فشكل ظاهرة ترفيهية بتأثير حضارة العصر وبما أسبغته عليه من رونقها

وبهائها ، وأصبح دليلاً على تحضر من يزاوله ، وبالطبع ليس المقصود هنا صيد الارتزاق بدافع تحصيل القوت الذي كان محتقراً من العرب[1] ، بل الصيد الذي يُمارَس للذة والتسلية والهواية والتفاخر ، كتسليهم بسباق الخيل وسباق الحمام الزاجل ولعبة الصولجان[2]، فكان اتقانه والإقبال عليه من المؤهلات المرشحة لمنادمة الملك، وفي هذا يذكر الجاحظ أن " لندماء الملك وبطانته خلال يساوون فيها الملك ضرورة ، ليس فيها نقص على الملك ، ولا ضعة في المُلك ، منها : اللعب بالكرة ، وطلب الصيد ، والرمي في الاغراض ، واللعب بالشطرنج وما أشبه ذلك"[3] . كما ويروي ابن خلدون في مقدمته عن ميزانية بغداد قبل ألف ومائة عام ، وذكر أنّ الصقور والبزاة شكلت جزءاً من الموارد التي تجبيها الدولة من الجزيرة وما يليها من اعمال الفرات هذا إلى ما كان يُصرف يومياً على الصيادين وعلى رعاية تلك الجوارح وعلاجها [4].

وتشير المصادر إلى أنَّ السفاح أول خليفة عباسي(ت 163ه) كان عظيم الإقبال على الصيد متفائلاً ومتشائماً ، أمَّا أبو جعفر المنصور ، فبرغم من جدّه ووقاره ، فقد أحسَّ بأنه من الصعب أن يقضي على شهوة الصيد عند الناس من حوله ومن يجيء من بعده من الخلفاء والأمراء ، لذلك ، وحتى يجد لهم عذراً بين الناس ، إذا فشا فيهم الصيد ، فهو فاشٍ لامحالة ، عمد إلى صنيع طريف بأن يركب فرسه مشمراً عن ذيله وعلى يده باز ، ومعه الربيع بن يونس ، فعبر الجسر جيئة وذهوباً ، ثم سأل الربيع ما يقول الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال ؟ قال: عجبوا منها ، قال أبو جعفر : إنه كان لأمير المؤمنين في ذلك مذهب وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد ويتبذل فيه فأحببت أن يكون مني ما رأيت فمتى فعل مثلي من بعدي ، قال الناس : قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة[5].

كما وتروي المصادر القديمة أنّ ابنه المهدي (ت169ه) قد مات في رحلة صيد [6] . وقد ازداد الشغف بالصيد لدى من جاء بعده من الخلفاء [7] ، وتذكر الأخبار التاريخية ولع الرشيد(ت193ه) بالصيد حتى أن " نقفور أهدى إليه أثني عشر بازياً وأربعة أكلبة من كلاب الصيد " [8]. وقد عُرِف عن الخليفة محمد الأمين(ت 198ه) أنّه كان أشد انهماكاً ، في الصيد ، وأحرص عليه من كل من تقدمه ، وقد بلغ من ولعه باللهو ولذة الصيد أن أهملَ شؤون الخلافة والتشاغل عن النظر في أمور الرعية، فكان ذلك الإغراق فيه مدعاة لمؤاخذته[9].

وقد كان لصحبة أبي نواس لأمراء بني العباس الأثر الكبير في الالتفات إلى هذا الباعث الذي يتوضح في نصوصه عبر نوعين من الحيوانات :

1. الطارد الذي يمثل وسيلة من وسائل الانقضاض على الفريسة وتسهيل عملية الصيد.
2. الطريدة وتتمثل في الحيوان الذي يتم صيده.

ويبدو أن أبا نواس يدرك توافقه الداخلي معها ولذلك فقد حاول أن يتخذ منها– عن وعي أو دون وعي – وسيلة رمزية للتعبير عن مواقف نفسية مختلفة بحسب صفات تلك الحيوانات ، ولعل هذا يفسر لنا اتخاذه منها " وسيلة لتجسيم الصراع بين الحياة والموت ، في اطار من الحركة الممتدة المتراوحة بين الرقة واللين ، والعنف والضراوة والفزع"[10] .ويصف رحلة صيد بقوله [11]

1. فقد أغتدي والصبح مشهور — قد طلعت فيه التباشير

2. بمخطف الأيل في خطمه — طول وفي شدقيه تأخير

3.عملّس العجز بعيد الخطا — مسلجم المتنين محضير

4.حتى ذعرنا كنساً لم يصب — بها من الأحداث مقدور

5.اقترنت من خشية للردى — عقرها في النقع زنبور

6.كأنه سهم إلى غاية — أو كوكب في الأفق محدور

7.فحان منها قرهب عفرت — من بعده عنز ويعفور

8.حتى إذا والى لنا أربعاً — واثنين والمجهود موفور

9.رحنا به ننصح أعطافه — وهو بما أولاه مشكور

10.رحنا به في تربة إذ أتت — ومثله للجهد مشكور

ولتشكيل العلاقة في سياقها وإحياء عنصر اللذة الذي تمنحه إياه التجربة يطرح الشاعر الفعل (اغتدي) المرتبط بالزمن والذي لا يخلو من بعد علائقي يرتبط بشعر الصيد والوصف جرياً على مذهب امرىء القيس في مطولته :

وقد أغتدي والطير في وكُناتها — بمنجردٍ قَيد الأوابد هيكل[12]

لكن تعامل أبو نواس مع الزمن يختلف عنه عند امرىء القيس ؛ فإذا كان الثاني قد أكد الغدو الباكر بصحبه فرسه (**والطير في وكُناتها**)، فإن الأول يشير إلى احتمالية الغدو الباكر بصحبة كلب الصيد (**والصبح مشهور**).

ووفقاً لإشباع الحواس المادية الذي يسوق الرغبة في أعماق الذات الشاعرة فأننا نشهد في النص تكافلاً معنوياً يحرص فيه أبو نواس على استعراض الصفات الحسية لهذا الطارد والتي تهدف إلى تحقيق لذة الصيد ، لاسيما وأن رحلة الصيد هذه قد عمقت من علاقته مع كلبه الذي انطلق للطراد به مع الصباح وجعلتها أكثر حميمية من خلال هذا الاستغراق في وصف تفاصيل الرحلة. والمتأمل للنص يلحظ أنَّ الطارد يأخذ نحو ثلاثة أرباع مساحته وفي صورة اسطورية مثالية يجتمع فيها السرعة والقوة مع إبراز نفعه من جهة أخرى . وتأتي صورة الطريدة جزئية ومحدودة . أي أن النظر إلى فكرة التعلق بأسباب القوة المتمثلة في قوة الطارد التي تؤهله للنجاح في مهمة الصيد وتحقيق لذة الظفر التي تحضر دائما في وعي الشاعر، بغض النظر عن الطريدة التي جاءت مختصرة في نهاية التجربة كوسيلة لانتهاء الرحلة وتحقيق حد الاكتمال للتجربة.

وقد لجأ أبو نواس إلى تغليب الصفات على الاسم المباشر لهذا الكلب في هذا إشارة إلى انتقال بؤرة الاهتمام إلى الطارد مقرونة بوظيفة مبتعدة عن التركيز على ذاته ، إذ تؤازر هذه الصفات من الإشعار بسرعته وقوته ، وتحرص على توفير أهم العناصر التي تزكي صلاحيته لتحقيق لذة الظفر ، فهو(**مخطف الأيلل**) و(**في خطمه طول**) و(**في شدقيه تأخير**) ،ثم يأتي بتشبيهات مستحسنة فهو(**عمَّس العجز**) كأنه سهم وهو (**بعيد الخطا**)،(**مسلجم المتنين محضير**) .

ولعل غلبة هذه الصفات على الاسم المباشر للطارد تشير إلى رغبة الشاعر في رسم صورة مثلى تساعد هذا الكلب في تحقيق الهدف المرجو من الصيد الذي لم يعد هدفاً ، وإنّما وسيلة لهدف أسمى هو القدرة على الانتصار، فكأن كلف أبي نواس الشاعر وحرصه على توافر مؤهلات هذا الانتصار في كلبه تمثل انعكاساً لدوافع نفسية دفينة تدفع بالشاعر إلى رسم الصورة على النحو الذي يحقق له التغلب على الواقع وتحقيق رغبته وحلمه .

ويقول في طردية أخرى[13]

1.رُبَّـــمـــا أغـــدو مـــعـــــــي ... طـــالـــبـــاً لـلـصَّـيـدِ فـي كـــلـــبـــي ... صَحْـبي

2.فـــسَـــمَـــونـــا لـلـحَـــزيـــزِ بـــه ... فـــدفـــعـــنـاهُ عـلـــــى أظْـــبِ[14]

3.فـــاســـتـــدرتـــه فـــدار لـــهـــا ... يـــلـــطـــم الـــرفـــقـــين بـالـتـربِ[15]

4.فـــأدَّراهـــــا وهـــــــي لاهـــيـــةٌ ... فـــي جـمـيـــمِ الـحـــاذِ والـغَـرْبِ[16]

5.فـــفـــرى جُـمَّـاعـهـــنَّ كـــمـــا ... قَـــدَّ مـخلـــولان مـــن عُـصْـبِ

6.غـــيـــر يـعـفـــورٍ أهَـــابَ بـــهِ ... جـــابَ دفَـيْـــه عـــن الـقـلبِ

7. ضَـــمَّ لَـحـيـيْـهِ بـمـخـطـمِـهِ ... ضَـمّـــكَ الـكـسـريـــن بـالـشعبِ

8.وانـتـهـى للـبـاهـيـاتِ كـمـا ... كـسـرتْ فـثْـخـاءُ مـن لـهـبِ

9.ظـلَّ بـالـوعْـسـاءِ يُـنـغـضُـهُ ... أزَمـاً مـنـه عـلـى الـصُّـلْـبِ

10. تـلـك لـذاتـي ، وكـنـتُ فـتـىً ... لـم أقـلْ مـن لـذةٍ حـسْـبـي

يبدأ الشاعر بتشكيل نصه معتمداً على السرد والصور المتتابعة التي تُظهر حرص هذا الطارد على متابعة طريدته، ويقول الجاحظ في هذا المعرض" والكلب أشد ما يكون حرصاً إذا كان خطمه يمس عجب ذنب الظبي والأرنب والثور وغير ذلك ، مما هو من صيده "[17] ، وقد اتخذ الشاعر من صورة انطلاق الكلب إلى الظباء ، ذلك الانطلاق السريع منفذاً لتصوير عاطفة الاعجاب بالقوة ، وما هذا الاعجاب إلّا ثمرة الإحساس بالمشاركة في هذه القوة ولو عن طريق التصور والخيال ، الأمر الذي يبعث على اللذة والسرور فرؤية الظباء تصبح درة تغري الكلب فتتضاعف سرعته للوصول إلى هدفه ، لكن تلك الأم تهرب ، مما يستدعي مشهد اللطم ، لطم الأبطين ، وهي صورة محملة بأبعاد ثقافية ونفسية تنبيء عن مخبوء تراثي يحيل على صورة النساء الثكلى المرافقة للموت.

ويتابع التشكيل الصوري في البيتين (4) و(5) إذ يلحق الطارد درته بعد أن يحتال لها ، وينطلق إليها يعاونه الزمان والمكان ، زمان يغشيه اللهو ، ومكان مخادع يمنحها الأمان وسط الشجر الملتف ، أو

وسط حماية القطيع ، ويتصاعد الحدث لينسرب في صورة قوامها الافتراع والفري . أمّا الجماعة التي تشكل ثوباً يحمي تلك الأم فينفري ويتمزق ، وتصطبغ الصورة باللون الأحمر الذي يستدعيه المشبه به في الصورة التشبيهية ، ذلك أن نواتج الافتراع والفري الواقع على القطيع الذي يسعى لحماية الأم تشبه عرقين نازفين قد فُصِدا . وتتوقف الصورة الحدث عند هذه الذروة مشكلة النهاية الدموية المؤلمة لهذا الظبي مايهيء لصورتها في المخيلة وما تنتهي إليه هذه المشاهد المتتابعة من نهاية مأساوية للطريدة وانتصار للطارد وما يفضي كل ذلك إلى لذة في نفس أبي نواس ، وهي لذة تبرّز نشوة الشاعر بامتلاك عناصر القوة لأن يباكر مختلف اللذات دون ارتواء ، وهو يؤكد أن غايته من الصيد اللذة فحسب ، إذ يقول :

تلك لذاتي ، لم أقلْ من لذةٍ
وكنتُ فتىً حسْبي

ومن أجل ذلك فإن أبا نواس يحرص على جعله كلباً اسطورياً بما فيه من صفات القوة الخارقة والسرعة وعراقة الاصل. يقول [18]

1. أنعت كلباً ليس بالمسبوق مطهّماً يجري على العروق
2. جاءت به الأملاك من سلوق كأنه في المقود الممشوق
3. إذا عدا عدوة لا معوق يلعب بين السهل والخروق
4. يشفى من الطراد جوى المشوق فالوحش لو مرّت على العيوق
5.أنزلها دامية الحلوق ذاك عليه أوجب الحقوق

لكل صيادٍ بهِ مرزوق

فالشاعر يخلع عليه من أجمل الأوصاف من شجاعة وخفة وحيوية في الوثوب على الطرائد واقتناصها، وإنّ اجتماع هذه الصفات حقق للشاعر لذته من رحلة الصيد التي هي جزء من رحلة الحياة .

ويطَّردُ ذلك في صور أخرى إذ تنهال عواطف أبي نواس على كلبه فينعته من خلال ذكر بعض الصفات التي كان يتحلى بها ، حيث كان هذا الكلب يعيش اصحابه من كده وتعبه. يقول[19]

1. أنعتُ كلباً أهله قد سعدت جدودهم من كده بجده

2. وكل خير عندهم من يظل مولاه له عنده كعبده

3. يبيت أدنى صاحب من وإن عرى جلله مهده ببرده

4. ذا غرة محجلاً بزنده تلذ منه العين حسن قده

5.تأخير شدقيه تلقى الظباء عنتاً من وطول خده طرده

6.يشرب كأس شدها يصيدها عشرين في بشده مرقده

يالك من كلبٍ نسيج وحده

يُظهر النص نزعة انفعالية مثالية إذ جمع أبو نواس في هذا الكلب صفات عدة تعكس اعتزازه به وهو اعتزاز لا يقل شأناً عن اعتزاز الفارس العربي بجواده الذي يحقق له لذة النصر على اعدائه ، بل إنه أكسبه أبعاداً جوهرية تفوق ما للجواد من أهمية في نفس الفارس القديم ، فهو يعتمد عليه في النجاة إن داهمه خطر من الاخطار فضلاً عن جعله مصدراً للارتزاق والنعمة بشكلٍ مبالغ فيه ، فالخير الذي يوجد لدى اصحابه فهو من عنده ، وان صاحبه القريب له يكون بمنزلة عبده المطيع لسيده لكثرة افضاله عليه ، إذ يقول :

2.وكل خير عندهم من يظل مولاه له عنده كعبده

ويعكس البيت (3) نوعاً من المشاركة العاطفية قد تسربت إلى وجدان الشاعر بشكل جعله يؤنسن هذا الكلب بشكلٍ يبين شدة عناية صاحبه به ، فهو يبيت إلى جانبه ، وإن تعرى كساه ببرده حتى لا يصيبه مكروه ، إذ يقول :

3. يبيت أدنى صاحب من وإن عرى جلله مهده ببرده

ويسبغ عليه من الصفات التي تجعل منه يستحق تلك العناية ولفرادته في صفات القوة الجسدية التي تمكنه من ملاحقة الظباء وصيدها، إذ يقول :

5.تـــأخيـــــــر شـــدقـيـــــــه تـــلـــقـــى الـظـبـاء عـنـتـاً مـن وطـــول خـــده طـــرده

6.يـــشـــــرب كـــأس شـــــدهـــــا يـــصـيـــدهـــا عـــشـــريـن فـي بـــشـــــده مـرقـده

فهو ذو غرة وتحجيل فكأنه الفرس الكريمة ، في جمالها وعتقها وحسن قوامها لذا تلذ العين رؤيته لحسن قده ، وهو واسع الشدقين ، طويل الخـد ، واسـع الجـري حـتى أن رجليـه لا تـمسان الأرض لسرعته وهي من علامات الفره في الكلب[20] ، والكلب الذي يحمل هذه الصفات تلقى الطرائد عنتاً شديداً منه إذ يسقيها كؤوس الموت حين ينقض عليها وعبثاً تحـاول الهـرب أو الافلات منه . وفي هذا جانب معنوي يحيـل إلى اللـذة إذ أن علاقته بهذا الطارد قد تحددت من خلال صفات القوة التي تضمن صيده للطرائد وتحقيق لذة الظفر.

ولكننا نلمح في النص إطاراً مغايراً لما سبق يتحرك فيه الشاعر في إلتفاته إلى معاني الألم والقهر الانساني من خلال الطريدة وهي تستسلم لقدرها المحتوم بعد أن يسلبها الأمن والطمأنينة.

ويقول [21]

1.يـــارب ظـبـــيٍ صـــبَّـــحـــتـــه ، والـلـيـــلُ ذو بـــمـــكـــانٍ خـــــالِ أهـــوالِ

2.بـــأغْـــضَـــــفٍ غُـــــذّي مُـــســـــوَّدُ الـعـمّ ، حـسـيـبُ بـــحـسْـــنِ حـالِ الـخـالِ

3.أَغـطـــي تـمـــامَ الـقـــــدّ قـلّـدتُـــهُ قِـــــــــــلادَةَ والـجـــمـــــالِ الأعـــمـــالِ

4. يـــجـــــولُ فـــي الـمِـقّـــودِ هِـــجْـــنَـــــا بـــــــهِ كـالمُخْتـالِ فـــهـــاجَ لـلـنّـــزَالِ

5.وآنـس الـظـبـــــي بـتـــلٍّ فـــانـســـل قـلبي ســاعـة عـــــالِ الارسـالِ

6.ومـــرّ يـتـلـــوهُ ، ولـــمْ بـــالّـحـــزْنِ والـسّـهـــل يـــبـــالِ وبـالـرّمـالِ

7.فـصـــادَهُ فـــي أصـعـــبِ وقـائـلٍ لـــي وهْـــوَ عـــنْ الـجـبـــالِ حِـيـالـي

8.أكـــرِم بـهـذا الـكـلـبِ مـن أَتـــيـــحَ حـتـــفُ الـــظبـي

مــخْـتــــالِ والأوعـالِ

فالطريدة تشكل العنصر المتمثل بتحقيق الألم إذ يستبطن النص من خلالها ترميزاً إلى معاني القهر الانساني فالسياق الذي يطرحه النص في صورة الظبي الطريدة يعكس وعياً بفكرة الانسان الضعيف المقهور الذي تترصده المنايا ولا تعطيه فرصة الحياة حتى يقع فريسة سهلة في يد القدر مهما حاول الهرب ، فالمنية لاحقة به ولو كان في أعلى التلال أو أصعب الجبال.

وتُظهِر لغة الشاعر القيمة التعبيرية للأصوات التي تؤدي دوراً دلالياً في سياقها حين تجتمع وتتوالى لتحكي ضخامة موقف أو لتصور الشدة والقوة إذ يلجأ أبو نواس إلى بث مجموعة من الأصوات التي تشيء بحالة الموقف وتوحي بالقوة في سعيه نحو اللذة في الطراد ، كما في قوله[22]

قــــد أغــتـــــدي قــبـــــل الصبـاح وقــبـــــل نــقــنـــــاق الــدجـــاج

الأبلــجِ الــدجـــجِ

فهو يعمد إلى تحقيق المحاكاة الصوتية من خلال توظيفه لأصوات بعينها كما هو الحال مع صوت الجيم الذي يعد " من الاصوات الانفجارية " [23] ، إذ جاء توظيفه لهذا الصوت مضعفاً للدلالة على اللذة المتحققة من الشدة والقوة المتوافقة مع أصوات الضوضاء والجلبة التي يهرب أبو نواس منها إلى الصيد ، ورمزاً للإبكار في الخروج ، كما جمع بين تكرار هذا الصوت ست مرات وبين وصفه للهدوء الذي يخرج فيه للصيد ، معبراً بتلك الجيم المجهورة عن الجلبة والضوضاء التي يتخلص منها بالخروج قبل حدوثها.

كما وتتحقق لذة الظفر لدى الشاعر وهو يصف مهارة الصائد ، إذ يقول [24]

أعـــددتُ كـــلـــبـــاً إذا غـــــدا مـــــن نـــهـــــم

لــلــطـــــراد فــظّـــــا تـــــلـــــظى

يـــــكـــظ أســـــراب حـــتـــــــى تـــــراهـــــــا

الـــظـــبـــــاء كـــظـــا فـــــرقـــــاً تـــشـــظى

وهنا يبرز الالحاح على اختيار أصوات دون غيرها كتلك الأصوات المفخمة مثل الطاء والظاء لخلق المشاكلة بين فظاظة هذه الأصوات وغلاظتها وبين طبع الغلاظة في هذا الكلب، لاسيما وأن " هذه الأصوات تحتاج إلى جهدٍ عضلي كبير للنطق بها"[25] فهي في شدتها أسهمت في خلق الإحساس بتجسيد فكرة اللذة لدى الشاعر.

وتكشف نصوصه في ذات السياق عن معاني إنسانية تذهب بنا نحو الألم الإنساني الذي يعبر عن نبض الحياة بشجن يلامس اللوعة حينما تتولد العاطفة التي تربط الانسان بالحيوان" والتي تغدو قوية في نفس الانسان حتى أن فقده للحيوان الأليف لديه يبعث في نفسه الأسى والحزن"[26] ويبدو أنَّ أبا

نواس قد اتخذ من ذلك معادلاً رمزياً للتعبير عن مدلولات نفسية واجتماعية على نحو ما يطالعنا هذا النص في رثاء كلبه بعد أن لدغته حيَّة فمات، إذ يقول[27]

1. يا بؤسَ كلبي سيّدَ الكِلابِ — قد كانَ أغناني عن العُقابِ

2.وكانَ قد أجزى عنِ القصّابِ — وَعَن شِراءِ الجَلَبِ الجَلّابِ [28]

3.ياعَينُ جودي لي على جَلّابِ — مَن لِلظِباءِ العُفرِ وَالذِئابِ[29]

4.وَكُلُّ صَقرٍ طالِعٍ وثّابِ — يَختَطِفُ القُطّانَ في الرَّوابي

5.كالبرقِ بينَ النّجمِ والسَّحابِ — كم من غَزالٍ لاحقِ الأقرابِ[30]

6.ذي جيئَةٍ صَعْبٍ وذي ذهابِ — أشبعني مِنهُ مِنَ الكَبّابِ

7.خَرَجتُ والدُنيا إلى تَبابِ — بِهِ وكانَ عِدَّتي وَنابي[31]

8.أصفَرُ قد خُرِّجَ بِالمُلابِ — كَأنّما يُدهَنُ بالزرياب[32]

9.فَبَينَما نحنُ بِهِ في الغابِ — إذ برزَت كالحةَ الأنيابِ[33]

10.رَقشاءُ جرداءُ من الثيابِ — كأنّما تُبصِرُ من نِقابِ[34]

11.فَعَلِقَت عُرقوبَهُ بنابِ — لم تَرعَ لي حقّاً وَلَم تُحابِ

12.فَخَرَّ وانصاعَت بِلا ارتيابِ — كأنّما تَنفُخُ من جِرابِ

13.لا أبتُ إن أبتُ بِلا عِقابِ — حتّى تذوقي أوجَعَ العَذابِ[35]

تُظهر البنية السطحية للنص تجاوز الشاعر حد الاعتدال في مرثيته حينما يجعل من هذا الكلب ، عدته وزاده في الدنيا ، فهو صياد ماهر وخادم أمين وهو الذي أغناه عن القصاب ، وعن الخدم الذين يجلبون له الطعام ، وهو الذي أغناه عن الضواري والجوارح الأخرى ، وهذا يعد مبالغة غير مستساغة ، لأنه " كان يعتمد في معاشه على نوال الخلفاء وذوي السلطان"[36] ، ولم نعثر له في المصادر على ما يدل على ارتزاقه بالصيد ، وإنما كان يلهو ويتسلى بالكلاب .

تتجسد تمثلات الألم في النص في بنيته العميقة إذ يفتح النص نافذة على الابعاد الانسانية التي تشير الى اختلال الموازين في الحياة ، عندما يُصرَع فيها الطارد ، غيرُ مصيد ، من عدو لدود هي أفعى من الرقش ، كالحة الأنياب.

ولو حاولنا أن نحلل النص تحليلاً فنياً يكشف عن جانبه الرمزي لوجدنا أنّه يقع في حقلين دلاليين ، يتألف الأول من ستة أبيات ، والآخر من خمسة أبيات، يتوسط بينهما بيتان يشكلان فصلاً حاسماً بين الحقلين ويربطان بين حركة الدلالة في كليهما في الوقت ذاته.

1. يا بؤسَ كلبي سيّدَ الكِلابِ — قد كانَ أغناني عن العُقابِ

2.وكانَ قد أجزى عنِ القصّابِ — وَعَن شِراءِ الجَلَبِ الجَلّابِ

3.ياعَينُ جودي لي على جَلّابِ — مَن لِلظِباءِ العُفرِ وَالذِئابِ

4.وَكُلُّ صَقرٍ طالِعٍ وثّابِ — يَختَطِفُ القُطّانَ في الرَّوابي

5.كالبرقِ بينَ النّجمِ والسَّحابِ — كم من غَزالٍ لاحقِ الأقرابِ

6.ذي جيئَةٍ صَعْبٍ وذي ذهابِ — أشبعني مِنهُ مِنَ الكَبّابِ

يشتمل هذا الحقل الدلالي على المعنى المباشر الذي يتمثل في جعل هذا الكلب (سيد) في عالم الكلاب ، فهو طارد ماهر ، لا يحوج صاحبه حين يخرج للطرد إلى استخدام الصقور ، بل أنّه يقوم بذلك وحده ، فيجلب له الصيد الوفير الذي يغنيه عن التعامل مع الجزار ، وفوق ذلك فهو كلب ذكي وفطن ، يقضي حوائج سيده في البيت والسوق ، ويغنيه عن اتخاذ الخدم، ومن أجل ذلك كله راح أبو نواس يذرف عليه الدموع ، وأنه ليحس بفقده احساساً عميقاً ، إذ لم يكن من السهل أن يستعيض عنه بكلبٍ آخر[37] ، ومن ثم فإن الشاعر يتساءل :

يـاعَـيـنُ جـودي لـي عـلى جـلّابِ ... مَـن لِـلـظِـبـاءِ الـعُـفـرِ وَالـذِئـابِ

وَكُـلُّ صَـقـرٍ طـالِـعٍ وثّـابِ ... يَـخـتَـطِـفُ الـقُـطّـانَ فـي الـرَّوابـي

ليس سوى ذلك الكلب ، فهو الذي يقيد الظباء ، ويتصدى للذئاب ، ويهر الصقور المفترسة التي تخطف الأطفال من سكان المناطق المرتفعة ، وتنطلق بهم سريعاً في أجواء الفضاء[38]. غير أن هناك بعض العناصر الرمزية المبثوثة في التجربة تنتج نوعاً آخر من الطرح الدلالي فالشاعر يرسم صورة مثالية لهذا الطارد ، ولكنها تختلف من حيث ارتباطها بفكرة العطاء المطلق الذي لا حدود له . لذلك لم يأتِ اعتباطاً اختيار الشاعر لاسم الكلب حيث اختار له لفظة(جلاب) وهي صيغة مبالغة من (جَلَبَ) وهي تقوي وتؤازر فكرة العطاء اللامحدود في هذا الطارد. وليس مصادفة أن تأتي صورة الذئب بوصفه من الطرائد التي كان يهاجمها هذا الكلب على غير العادة ، ولعل اختيار الذئب في مثل هذه الصورة ماهو إلّا ضرب من الرمز الذي " يحيل إلى فكرة العداوة والغدر والخيانة والمكر والخداع " [39].

وبانتهاء حركة الصياغة في الحقل الدلالي الأول يأتي البيت(7) و(8) ليشكلا تمهيداً لحركة الصياغة في الحقل الدلالي الاخر الذي يصور فيه الشاعر خروجه مع هذا الكلب وهو مزهو في ابهى حالة وكأنه قد تطيب ودُهن بالزرياب وهو يبحث عن صيده ، إذ يقول:

7.خَـرَجـتُ والـدُنـيـا إلـى تَـبـابِ ... بِـهِ وكـانَ عِـدَّتـي وَنـابـي

8.أصـفَـرُ قـد خُـرِّجَ بِـالـمُـلابِ ... كَـأنّـمـا يُـدهَـنُ بـالـزريـابِ

9.فَـبَـيـنَـمـا نـحـنُ بِـهِ فـي الـغـابِ ... إذ بـرزَت كـالـحـةَ الأنـيـابِ

10.رَقـشـاءُ جـرداءُ مـن الـثـيـابِ ... كـأنّـمـا تُـبـصِـرُ مـن نِـقـابِ

11.فَـعَـلِـقَـت عُـرقـوبَـهُ بـنـابِ ... لـم تَـرعَ لـي حـقّـاً وَلَـم تُـحـابِ (40)

12.فَـخَـرَّ وانـصـاعَـت بِـلا كـأنّـمـا تَـنـفُـخُ

ارتـيـــــابِ **مـــن جِـــرابِ**

13.لا أَبـــتُ إن أَبـــتُ بِـــلا **حـــتّـــى تـــذوقـــي أَوجَـــعَ**

عِـــقـــابِ **الـعَـــذابِ**

ولنلاحظ أن خروج الشاعر جاء في ظرفية محددة مصطبغة بلون من الحزن والألم(**والـدُنـيـا إلـى تَـبـابِ**)، والتباب يعني الهلاك والخسران[41] ، فكأن موت الكلب مرتبط بأحوال الدنيا وقد أشرفت على الهلاك وقت وقوع الحدث.

إنَّها فكرة توتر الذات في المجتمع الذي تتغير أحواله يوماً بعد آخر حيث يختنق العطاء وتنعدم الخصوبة وتقف حركة الارتزاق بموت الكلب ، أي بموت الأمانة والوفاء ويحدث ذلك في ظل عالم مشحون بالخديعة والمكر من الآخرين / الذئاب.

ويأتي الحقل الدلالي الآخر مكملاً لصورة الأول في معناه المباشر لما سبق ، إذ يقول:

وتطرح الصياغة اللغوية مفارقة للمألوف إذ يفجع الشاعر عندما يصبح القانص (الكلب) فريسة لقانص آخر يمثل رمزاً لعداوة للإنسان منذ القدم هو الافعى التي اختار لها الشاعر وصفاً يعكس كراهية شديدة فهي (**رَقـشـاءُ كـالـحـةُ الأنـيـابِ**) ، والمعروف أن الأفعى في الشعر ترمز للعدو اللدود ، فضلاً عن رمزيتها على الظلم إذ ضربوا بها المثل فقالوا : " أظلم من أفعى كما يقول العرب إن الأفعى التي تختفي في الرمال هي أعدى أعداء الانسان"[42] .

وكذلك يدقق أبو نواس في رسم شكلها ولونها فهي رقطاء ذات عينين لامعتين كأنهما تبصبصان من خلال نقاب ، وليعمق الشاعر الاحساس بالألم الناتج عن المؤامرة والخيانة فقد اختار أن تكون مهاجمة هذه الافعى مخاتلة من وراء الظهر بدلالة اختياره للفظة العرقوب في مؤخر الساق.

إنَّ الأبعاد الانسانية التي تطرحها الالفاظ والاساليب تكشف لنا ابعاد التجربة ، فعلى سبيل المثال قول الشاعر في الحية : (**لـم تَـرعَ لـي حـقّـاً وَلَـم تُـحـابِ**) ، فأي حق له على هذه الحية ؟ وما معنى انتظار المجاملة منها ثم توعدها بالاقتصاص والعذاب ؟

الهوامش

([1]) بحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ(ثنائية اللذة والألم في شعر أبي نواس) حسين احمد عباوي. قسم اللغة العربية ،كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة تكريت ، بإشراف : أ د . اسماء صابر جاسم2020

([2]) يشير الجاحظ إلى زراية العرب بمن يتخذ الصيد مهنة وحرفة بقوله :(وقد وجدنا العرب يستلذون الصيد ويحقرون الصياد) ، ينظر : الحيوان ، 2/ 309.
([3]) ينظر : كتاب الوزراء والكُتاب : أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري ، 207، وينظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، 3 / 279 .
([4]) التاج في أخلاق الملوك : الجاحظ ، 80 – 81.
([5]) ينظر : مقدمة ابن خلدون ، 103.
([6]) ينظر : البيزرة ، عبدالله الحسن بن الحسين البازيار الفاطمي ، 43 .
([7]) ينظر : تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، 8 / 169 .
([8]) ينظر : المصايد والمطارد : أبو الفتح محمود بن الحسن الكاتب (كشاجم) ، 3 – 4.
([9]) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ، 8 / 321.
([10]) ينظر : م . ن : 8 / 286.
([11]) في الشعر الاسلامي والأموي : د . عبد القادر القط ، 394 .
([12]) ديوان أبي نواس ، تحقيق :احمد عبد المجيد الغزالي ، 635.

([13]) ديوان امرىء القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، 19.
([14]) ديوان أبي نواس : 105.
([15]) سمونا للحزيز : أي ذهبنا به إلى ماغلظ من الأرض . الأظب : جمع ظبي.
([16]) الرفقين : المرفقين .
([17]) أدّراها : اختلسها ، الجميم ، النبت الكثير الذي طال ، الحاذ : نوع من الشجر، الغرب : نوع من الشجر. ([18]) الحيوان ، 2/ 23.
([19]) ديوانه ، 624.
([20]) ديوانه ، 624.
([21]) ينظر : الحيوان ، 2/ 46.
([22]) ديوانه ، 646.
([23]) ديوانه :664.
([24]) في صوتيات العربية : د . محيي الدين رمضان ، 111.
([25]) ديوانه : 641.
([26]) في صوتيات العربية ، 138 .
([27]) في الأدب العباسي – الرؤية والفن : د . عز الدين اسماعيل 380 .
([28]) ديوانه ، 643.
([29]) الجلب : الخدم .
([30]) حلّاب : لعله اسم الكلب.
([31]) تباب : هلاك .
([32]) المُلاب : ضربٌ من الطّيْب كالخلوق والزعفران . الزرياب : اسم علم مذكر فارسي ، ومعناه : ماء الذهب ، وهو مركب من (زر) الذهب ، و (آب) الماء.
([33]) كالحة الأنياب : الحية تُكشر عن أنيابها.
([34]) رقشاء : مخططة.
([35]) لا أبت : لا رجعت ، يدعو على نفسه قائلاً لا رجعت سالماً إن رجعتِ أيتها الحية بلا عقاب أليم .
([36]) زهر الآداب وثمر الألباب : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ،2/ 461.
([37]) لاحق القرب : بمعنى ضامر .
([38]) في الأدب العباسي – الرؤية والفن ، 378 – 379 .
([39]) ينظر : م . ن ، 381.
([40]) حياة الحيوان الكبرى : كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى الدميري ، 58/2.
([41]) ينظر : لسان العرب ، 5 / 415 ، مادة (ت ب ب).

([42]) العرقوب : الوتر الذي خلف الكعبين من مفصل القدم والساق ، ينظر لسان العرب ،31/ 2910. مادة (ع ر ق ب).

([43]) معجم الفولكلور ، د. عبد الحميد يونس ، 42.

Resources and References

1. Al-Bazarah: Abdullah Ibn Al-Hussein Al-Bazyar Al-Fatimiyyah, edited by: Muhammad Kurd Ali, Publications of the Arab Scientific Society, (no printing), Damascus, 1952.

2. Al-Taj Fi Akhlaaq Al-Mulook: Abu Uthman Amr Ibn Bahr Al-Jahez (died 255 AH), edited by: Fawzi Atwi, The Lebanese Book Company, (no printing), Beirut, 1970.

3. History of Nations and Kings (Tarigh Al-Tabari): Abu Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari (died 310 AH), edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif, (no date), Cairo, 1966.

4. Hayat Al-Haywan Al-Kobra: Abu Al-Baaqa' Kamal al-Din Muhammad ibn Musa al-Damiri (died 808 AH), Hijazi Press, (no printing), Cairo, (no date).

5. Al-Haywan: Abu Uthman Amr bin Bahr al-Jahiz (died 255 AH), edited and explained: Abd al-Salam Muhammad Harun, House of Revival of Arab Heritage, 3rd Edition, Beirut, 1969 AD.

6. Diwan Abu Nawas Al-Hassan Bin Hani, edited, explained, and seizure by: Ahmad Abd Al-Majid Al-Ghazali, Dar Al-Kitaab Al-Arabi, (no printing), Beirut, (no date).

7. Diwan Imro' Al- Qais, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maarif, 5th edition, Cairo (no printing).

8. Zahrat Al-Adab Wathamar Al-Albab: Abu Ishaq Ibrahim bin Ali Al-Husari Al-Qayrawani (died 453 AH), edited by: Muhammad Ali Al-Bajawi, Al-Babi Al-Halabi Library, 2nd edition, Cairo, 1969 AD.

9. In Abbasid literature - vision and art: Dr. Ezz El-Din Ismail, The Egyptian Renaissance Library, (no printing), Cairo, 1975.

10. In Islamic and Umayyad poetry: Dr. Abdel Qader Al-Qatt, Youth Library, 1st edition, Cairo, 1984.

11. In Arabic Phonetics: Dr. Muhyiddin Ramadan, The Modern Message Library, 2nd edition, Amman, 1986.

12. The Book of Ministers and Writers: Abu Abdullah Muhammad Ibn Abdos Al-Jahsyari (died 331 AH), edited by: Mustafa Al-Saqqa, Ibrahim Al-Ibari and Abdul Hafeez Al-Shanqeeti, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library, 1st edition, Cairo, 1938.

13- Lisan al-Arab: Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram, between perspective (died 711 AH), House of Revival of Arab Heritage and the Foundation for Arab History, 3rd edition, Beirut, (no printing).

14. Murooj Al-Zahab Wa Madin Al-Jawhart: Abu al-Hasan Ali bin al-Husayn bin Ali al-Masoudi (died 346 AH), edited by: Muhammad Muhi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Anwar for printing, 1st edition, Beirut, 2009.

15. Al-Massaid Waltarid: Abu Al-Fath Mahmoud Ibn Al-Hassan, known as Kashajem (died 360 AH), edited by: Dr. Muhammad Asaad Atlas, Al-Dar Al-Hurriyah for Printing, (no printing), Baghdad, 1954.

16. A Dictionary of Folklore: Dr. Abdul Hamid Younis, House of General Cultural Affairs, 2nd edition, Baghdad, 1992.

17. Muqadimat Ibn Khaldun: Abd al-Rahman bin Muhammad bin Khaldun al-Hadrami al-Tunisi (died 808 AH), edited by: Hajar Asi, Tunisian Publishing House, 1st edition, Marrakech, 1984.